

أنا وأنتِ على الطريق

الأم المثالية

صديقتي المستمعات،

هل سمعتن بالمرأة الفلسطينية التي كرمها كوفي عنان أمين عام الأمم المتحدة؟ فالمنظمات الخيرية رشحتها لجائزة الأم المثالية وجائزة الأمم المتحدة. إنها ميسر السعدي . لم تدرك يوماً أنها ستصبح سيدة مشهورة تكتب عنها الصحف والمجلات وتحظى بتقدير خاص من الأمم المتحدة ومن عدد من المنظمات الخيرية لأن كل شيء حدث بمحض الصدفة. فقد خرجت ذات يوم لقضاء بعض الأغراض وعندما عادت وجدت الديار خالية من أهلها واكتشفت اختفاء طفلتيها منار ومنال. وأن الحي بأكمله هرب من جراء القصف المدفعي. فتفرق شمل أسرتها لسنوات وعاشت ثلاثين عاماً من دون مأوى حتى أصبحت قصة كفاحها من أجل تربية أبنائها حديث المنظمات الخيرية وتقرر ترشيحها لنيل جائزة الأم المثالية.

كانت هذه ياسيديتي مقالة نشرتها مجلة عربية خاصة بالمرأة . تحدثت فيها الكاتبة بخيبة أمين عن ميسر السعدي المرأة الفلسطينية الممرضة التي ما أن عادت ذات يوم من عملها حتى وجدت الديار مهجورة من سكانها. فراحت تبحث عن صغارها وزوجها. لكن دون جدوى. ولم يعد أمامها كما قالت سوى الالتحاق بوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين. حيث قضت ثلاثين عاماً في مساعدة الفقراء والمحتاجين وفي عملها بالمخيمات في وادي الأردن.

وتكمل ميسر متحدثة عن قصة كفاحها لتربية أبنائها الأربعة بعد عثورها على أفراد عائلتها وكيف كانت توفق بين واجبها الوطني في المخيمات وأعمال البيت. قالت : كنت ألتقي زوجي لفترات متباعدة وقد أنجبنا طفلين آخرين لكن على رغم ضالة راتبي فقد أكمل أولادي تعليمهم الجامعي وكنت أقترض لأعطي رسوم الدراسة الجامعية. ففي الصباح كنت أقضي يومي مع المشردين والأيتام بسبب الحرب. وفي منتصف الليل كنت أعود لبيتي المتواضع أقبل صغاري وهم نيام. ثم أؤدي واجباتهم كافة ليلاً. بعد تقاعدي من مهنة التمريض عملت في صفوف النساء عبر الجمعيات التطوعية والخيرية. وفي الوقت نفسه كنت أدعو النساء إلى بيتي لتعلم مهارات التطريز والأعمال اليدوية لرفع الكفاءات التأهيلية حتى لا تمد أية امرأة يدها طالبة العون من الآخرين. وتابعت تقول : لقد واجهت الفقر ثلاثين عاماً ولذلك قررت أن أدعو النساء لولوج عالم المهن الحرة . وبفضل هذه النشاطات تناولت المنظمات التطوعية قصة كفاحي. ورشحتني لنيل جائزة الأم المثالية وجائزة الأمم المتحدة للبرنامج الإغاثي بمناسبة اليوم العالمي

لمواجهة الفقر. وتضيف أخيراً السيدة ميسر السعدي لتقول : أصابتنى الدهشة وأنا أقف أمام كوفي عنان لتقليدي وشاحا وليهنئني بما أنجزت. عندها أدركت أنني أم حقيقية رغم قساوة المشوار وامرأة صامدة رغم تيارات المحن التي واجهتها.

ترى ما هو الحافز الذي كانت ميسر السعدي هذه الأم المثالية تندفع بواسطته. بالرغم من كل الصعوبات والآلام والمحن التي اجتازتها هذه السيدة إلا أنها لم تفشل أو تياس . وأنت صديقتي هل إذا مررت بصعوبات وجابهت أزمات عائلية أو اجتماعية تخرين وتسقطين وتفشلين ؟ أم على العكس تماما؟ تهبين لتستخدمي الظروف لمصلحتك فتستفيدي منها . فكم من امرأة محرومة ومظلومة في بيتها الزوجي وكم من امرأة مهضومة الحقوق لكنها استطاعت أن تحوّل الظلم والقهر والحرمان إلى فرصة جديدة وتجد جديد للعمل والجهاد في سبيل الوصول إلى ما تصبو إليه.

وأنت سيدتي من أي نوع يا ترى؟

اسمعي مرة ماذا قال السيد يسوع المسيح و المعروف عند البعض ب عيسى بن مريم عن ملكوت السموات وبماذا شبهه. قال : يشبه إنساناً مسافراً دعا عبيده وسلمهم أمواله. فأعطى واحداً خمس زونات وآخر وزنتين وآخر وزنة. كل واحد على قدر طاقته . وسافر للوقت. فمضى الذي أخذ الخمس زونات وتاجر بها فربح خمس زونات أخرى. وهكذا الذي له الوزنتين ربح أيضاً وزنتين أخريين. وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده. وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم. فجاء الذي أخذ الخمس زونات وقدم خمس آخر ربحها فوقها. وكذلك الذي له وزنتان جاء بوزنتين أخريين . عندها مدحهما السيد وحظي كل منهما بالنعمة ودعاهما بالعبدین الصالحين والأمينين. أما صاحب الوزنة الواحدة فاعترف لسيده بأنه أخفى الوزنة في الأرض لأن سيده قاس. فخاف أن يفعل شيئاً بها فخبأها. عندها قال له سيده أنت عبد شرير وكسلان كان ينبغي على الأقل أن تشغلّ الوزنة التي أخذت عند الصيارفة فأخذها عندما أعود مع فائدة. عندها أخذ منه الوزنة وأعطاها لمن له الخمس زونات. والعبد البطل طُرح الى الظلمة الخارجية.

هكذا نحن أيضاً يا سيدتي في علاقتنا مع الله تعالى خالقنا وصانعنا. علاقتنا الروحية معه. فهو يريدنا أن تكون مثمرة معطاءة وعاملة. أي حياتنا وعلاقتنا معه تكون حقيقية وليست مزيفة. يريدنا أن نكون مثمرين في عمله وخدمته لا أن ننقاس ونخمد من جراء الصعوبات والأزمات. تماما كما أنه علينا أن نهب ونعمل في سبيل تحصيل ما نصبو إليه من أهداف في حياتنا العائلية

والاجتماعية هكذا علينا أن لا نفشل في حياتنا معه تعالى . فالله وهبنا كنزا ثمينا في حياتنا علينا أن نستخدمه بالرغم من المعطلات والمفشات من حولنا. وإلا فحياتنا تبقى لا معنى لها وعلى الهامش. متسلحين بذلك بالظروف الصعبة والآلام والمحن التي نمر بها. إذا كانت هذه السيدة التي تكلمنا عنها قد تحفرت ونشطت للعمل بالرغم من الصعوبات والآلام فكم بالحري الحافز الذي يضعه الله في قلوبنا الحافز لكي نعمل ونبني ملكوته الروحي الذي يبقى إلى الأبد؟ هل علمت صديقتي أن نتأجه هي أبدية أي إلى مالا نهاية. هل حصلت صديقتي على الخلاص من عقاب الخطية في حياتك؟ وهل أخذت الغفران الإلهي العجيب بواسطة ما عمله عنك الفادي يسوع المسيح على الصليب؟ إذن هبي للعمل وكلمي الناس عما حصل معك ولا تهتمي بالمعوقات الخارجية لأنها مؤقتة أما العمل في حقله فنتأجه أبدية . فهل تعملين بالوزنة التي هي الخلاص من الخطية والشركة الروحية معه تعالى أم تخبئينا ؟ وهكذا تحصلين في النهاية على المدح والإكرام في دار النعيم.
